ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

فتوى الإمام الخميني لدعم المقاومة الفلسطينية بين تاريخ المكان وجغرافيا آخر الزمان

محمد صادق الحسيني

يوم أجاز الإمام السيد روح اللّه الموسوي الخميني وهو مبعد من بلاده في منفى النجف الأشرف العراقي في نهاية ستينيات القرن الماضي بالقتال الى جانب مجاهدي المقاومة الفلسطينية من كوادر حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، والقبول بأن يكون كلّ ذلك تحت قيادة ياسر عرفات، كما وأجاز بتقديم جزء من الأموال الشرعية أموال الخمس والزكاة وسهم الإمام لمساعدة مجاهدي الثورة الفلسطينية، كان كبار مراجع الشيعة والسنة من رموز وقادة من الحركات الإسلامية ودون استثناء تقريباً يخوضون جدالاً عدمياً حول مقبولية أو عدم مقبولية ممارسة فريضة الجهاد تحت راية حركة غير إسلامية وقيادة غير صالحة (تحت عنوان عريض لا يجوز تقديم المفضول على الفاضل)!

يومها قليلون هم مَن عقدوا العزم للالتزام بفتواه تلك والقيام بواجبهم تجاه فلسطين.

أما غالبية القوم ممن كانوا في عداد القيادات الإسلامية المخلصة فضلاً عن مناكفيه ومخالفيه فقد اعتبروه خارجاً على الأعراف والتقاليد، في الحدّ الأدنى، إن لم يكن بعضهم قد ذهب الى أبعد من ذلك بكثير!

من جملة القليلين الذين التزموا بتلك الفتوى، بل ووجدوا ذاتهم فيها وشعروا أنّ هويتهم الدينية والسياسية تتمّ إعادة صياغتها بقالب جديد كانوا الحركيين الإسلاميين من تلامذته المخلصين أمثال السيد حميد زيارتي ومحمد منتظري وعلي أكبر محتشمي والقائد الشهيد محمد صالح الحسيني الذي كان يتزعّم حركة الشباب المسلم وعدداً لا بأس به من تلامذته من الجنود المجهولين منهم من استشهد ومنهم من لا يزال على قيد الحياة.

وكذلك آخرين أحياء لا نريد ذكر أسمائهم الآن لأنّ منهم من انقلب على عقبيه ومنهم من اذا ذكّرته بتاريخه قد لا يعترف به، ولا داعي هنا للدخول بمثل هذا الجدل الذي قد يدخلنا في متاهات نحن في غنى عنها!

ولأن المهمّ هو فتوى الإمام الخميني غداة استمرارية فضاء إحياء يوم رحيله، دعونا نتحدث صراحة بعض الشيء لنأخذ العبرة من تلك الفتوى.

ماذا كانت تعني تلك الفتوى «الانقلاب»؟ نعم شكلت نوعاً من الانقلاب والطفرة الثورية الفريدة والمتميّزة جداً في ذلك الزمان:

أولاً: لانّ مرجعاً شيعياً مسلماً وإيرانياً يرى بأن الحدّ الأدنى من أولويات الواجب الديني لأيّ مسلم ملتزم هو ان يقاتل من أجل القدس وفلسطين ويساهم في تحريرها مهما كانت لديه من مهام «قطرية» وطنية او قومية او حتى عقائدية او مذهبية خاصة!

ثانياً: إن انعدام القيادة «الصالحة» من وجهة نظر الملتزمين الدينيين لا يعفي أحداً أبداً من القيام بهذا الواجب الديني تجاه قضية مقدّسة مثل قضية فلسطين!

ثالثاً: إن قضية فلسطين هي قضية مركزية للعرب والمسلمين ولا يجوز تبرير الانتظار (فلسفة الانتظار المهدوية التقليدية) لانبثاق قيادة صالحة حتى تتوافر الشروط الشرعية أو العقدية أو سمّها ما شئت حتى يقوم المسلم بواجبه وتكليفه الشرعيّ تجاهها!

رابعاً: إنّ الالتزام الديني لايّ مسلم إنما يختبر ميدانياً وفي كلّ ساعة بمدى التزامه بقضايا الأمة المركزية وتحديداً في عالم السياسة والجهاد والنضال وليس في عالم التجريد والتنظير و«انتظار الفرج السلبي» (وهي نظرية الانتظار التكاسلية التقليدية التي تنتظر تحقق علامات الظهور فقط لا غير). كما كان يروّج الكثيرون ولا يزالون سنّة وشيعة ومن كلّ الطوائف والشرائع والأطياف تهرّباً من تحمّل المسؤولية أو إلقاء اللوم على الظروف الموضوعية المحيطة.

خامساً: إن كونك مسلماً أو متديناً لديك قراءتك الخاصة في الفقه والعقائد والأصول لا يبرر لك مطلقاً ان تترك أخاك المسلم الآخر لأي فئة او مذهب او مدرسة فقهية انتمى يواجه مصيره وحده بحجة القراءة الفقهية او المذهبية او الطائفية المتفاوتة، لا سيما عندما يكون الموضوع من نوع فلسطين!

سادساً: إنّ الدين والسياسة صنوان لا ينفصلان، أصلاً لا يوجد شيء اسمه دين من دون سياسة او العكس لدى المتدين الحقيقي والواقعي، بمعنى أنّ الدين يساوي منظومة الحياة والموت والنظرة الكونية الشاملة للأمور والسياسة جزء منها، وهذا يختلف عن وجود مدّعين للدين يوظفون السياسة في خدمة إسقاطاتهم (قراءاتهم) الدينية الخاصة بهم، او ان لاعبي سياسة دجالين، وما اكثرهم لا سيما بين الحكام، يوظفون الدين كأداة في خدمة استبدادهم وإدامة نهبهم لثروات الأمة باسم الدين احياناً وبمساعدة ثلة من فقهاء السلاطين يعملون موظفين وبيادق لديهم!

سابعاً: إن مرجعية كمرجعية الإمام الخميني كانت ثاقبة النظر وبعيدة الأفق في نظرتها لأمور الشأن العام بحيث إنها قفزت فوق فروقات الفرق المذهبية الجزئية والتفصيلية وغير الجوهرية إن كانت شيعية او سنية أو كانت عربية او أعجمية، واعتمدت مرجعية القرآن في نظرتها لأنبل وأشرف وأطهر قضية عرفتها أمة الاسلام منذ مئة عام على الاقل.

يومها لم يكن لدى الإمام الخميني العظيم لا مصالح شخصية ولا حزبية ولا فئوية ولا مذهبية ولا قومية ولا حتى ذاتية تتعلق بالزعامة مثلاً حتى تضطره لاتخاذ مثل ذلك الموقف!

كما أنّ القضية الفلسطينية يومها لم تكن قضية «مربحة» (ربّيحة) أيضاً بالمعاني المادية بل كلها خسارة بخسارة (مادية) على المستويات الآنفة الذكر إذا ما أخذناها في ميزان المعادلات الدنيوية!

وهنا لا بدّ من التأكيد انّ الإمام الخميني، ربما حتى بعض أقرب الناس إليه من حيث العلاقة الشخصية او التشابه في الشكل الوظيفي الديني العام لم يكونوا ليتفهّموا ذلك الموقف إن لم يكونوا قد وقفوا ضده!

والدليل والشاهد على ما نقول هو تلك الحرب السرية والعلنية التي خيضت ضده وضد أي كادر من كوادره او مقلد من مقلديه أراد تفعيل تلك الفتوى يومها ومن أقرب الناس إليهم والى الدين في كل الساحات من العراق إلى إيران إلى لبنان وفي كل مكان !

أيضاً يومها لم يكن للإمام دولة ولا مصالح حكومية ولا نووي ولا استراتيجيات دول ولا تكتيكات حكومات قد دخلت بعد في حساباته، وقيادة النضال أيضاً لم تكن بيد الإسلاميين حتى نقول إنها جاءت في خدمة تلك الحسابات!

من هذا المدخل ينبغي أن نفهم ما قاله سيد المقاومة السيد حسن نصر اللّه وصاحب مدرسة الوفاء الأندر في تاريخ المناضلين والمجاهدين قبل أيام عندما وصف موقف الثوار الإيرانيين المسلمين والذين بات لديهم اليوم حكم وحكومة ودولة واستراتيجيات وتكتيكات بأنهم إنما ينظرون الى المنطقة كلها بل والى خريطة العالم «بعيون فلسطينيّة»!

هو شخصياً وليسمح لي تأدّباً أنه وانْ لم يكن يومها شاهداً نشطاً وفاعلاً، على ذلك العصر العسير الذي مرّ علينا، لكنه يقرأ ببصيرة العارف والمتيقن الذي التقط الجوهر من مدرسة الإمام المؤسّس ومن ثم صار المعلم الأول الذي ساهم في صنع الانتصارات الأهمّ في تاريخ الأمة منذ أن تمسك بهذه المدرسة الأصيلة حتى صار يعرف معدن الرجال وكيف يميّز بين الذهب الصافي والذهب «الجلب»، كما يقول أخوتنا العراقيون!

بعدنا طيّبين قولوا اللّه.

إسقاط طائرة «الكوخاف» في جنوب لبنان.. ترجمة الوعود إلى أفعال

محمد فلحة

في تطوّر نوعي ومثير على الجبهة الجنوبية للبنان مع فلسطين المحتلة، أعلن حزب اللّه عن إسقاط طائرة استطلاع «إسرائيلية» من طراز

«الكوخاف ـ هيرمس ٩٠٠» في جنوب لبنان. هذا الحدث يأتي في سياق التوترات المتصاعدة بين حزب اللّه والعدو «الإسرائيلي»، ويُعدّ ترجمة حقيقية للوعود التي أطلقها الأمين العام لحزب اللّه السيد حسن نصر اللّه، في خطابه خلال الحفل التأبيني للرئيس الإيراني الشهيد السيد إبراهيم رئيسي ووزير الخارجية الدكتور حسين أمير عبداللهيان ورفاقهما، الذين قضوا في سقوط طائرتهم بعد عودتهم من الحدود الإيرانية – الأذرية.

في خطابه التأبيني، شدّد السيد حسن نصر اللّه على أنّ الجبهة الجنوبية ستشهد مفاجآت عديدة في الأيام المقبلة، مؤكداً أنّ المقاومة الإسلامية على أهبة الاستعداد لمواجهة أيّ اعتداء إسرائيلي. ووعد السيد نصر اللّه بأنّ المقاومة تمتلك القدرات اللازمة لتوجيه ضربات مؤلمة لـ «إسرائيل»، وأنها لن تتردّد في الردّ على أيّ توسعة أو تغيير لقواعد الاشتباك من قبل العدو الإسرائيلي.

ووجه السيد نصر اللّه رسالة مباشرة لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قائلاً: «يجب أن تنتظر من مقاومتنا المفاجآت.»

على عكس خطابات العديد من الزعماء العرب التي غالباً ما تكون شعارات جوفاء، أثبت حزب اللّه مراراً وتكراراً أنه يترجم وعوده إلى أفعال ملموسة. فإسقاط طائرة «الكوخاف ـ هيرمس ٩٠٠» يُظهر بوضوح أنّ المقاومة الإسلامية قادرة على مواجهة التكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية المتقدمة.

طائرة «الكوخاف ـ هيرمس ٩٠٠» تعتبر من بين الطائرات المُسيّرة الأكثر تطوراً في الجيش «الإسرائيلي» من الطائرات التي سبق وأسقطها حزب اللّه، فهي تعتبر من بين الأكثر تكلفة في أسلحة الجيش الإسرائيلي. هذه الطائرة المُسيّرة تستخدم لجمع المعلومات الاستخبارية ومراقبة المناطق المستهدفة، مما يجعل من إسقاطها ضربة كبيرة للجهود الاستخبارية «الإسرائيلية».

قبل هذا الخطاب، نجح حزب اللّه في إسقاط العديد من الطائرات المُسيرة «الإسرائيلية» مثل «الهيرمس» و«الهارون». ومع ذلك، فإنّ إسقاط طائرة «الكوخاف ـ هيرمس ٩٠٠» يمثل تطوّراً نوعياً بارزاً نظراً لتطوراتها التكنولوجية ولكونها جزءاً أساسياً من الترسانة العسكرية الإسرائيلية. هذا الإنجاز يعكس قدرة حزب اللّه على مواجهة وتحدي التكنولوجيا العسكرية للعدو ويؤكد على استمرارية التطور في قدرات المقاومة الإسلامية في لبنان .

اعتبر الإعلام «الإسرائيلي» إسقاط الطائرة «الكوخاف ـ هيرمس ٩٠٠» تجاوزاً للخطوط الحمراء من قبل حزب اللّه، مما يعكس قلقاً كبيراً في الأوساط العسكرية والسياسية الإسرائيلية. هذا التصعيد يزيد من التوترات في المنطقة ويضع مزيداً من الضغط على القيادة الإسرائيلية لاتخاذ ردود فعل مناسبة. ويتخوّف المسؤولون الإسرائيليون من أن يشجع هذا النجاح حزب اللّه على اتخاذ خطوات أكثر جرأة في المستقبل، مما قد يؤدي إلى تصعيد أكبر.

إنّ هذا الإنجاز العسكري ليس مجرد حادثة عابرة، بل هو جزء من استراتيجية أوسع تهدف إلى تعزيز الردع وإظهار القوة والجاهزية للمقاومة فإسقاط طائرة متقدمة من هذا الطراز يعزز موقف حزب اللّه التفاوضي، ويضيف ورقة ضغط إضافية في الصراع مع العدو «الإسرائيلي». كما يرسل رسالة قوية مفادها أنّ المقاومة قادرة على مواجهة أيّ توسعة أو تغيير لقواعد الاشتباك، وأنها مستعدة للردّ على أيّ استفزاز «إسرائيلي» مهما كان حجمه.

ختاماً

إسقاط طائرة «الكوخاف ـ هيرمس ٩٠٠» في جنوب لبنان هو دليل آخر على أنّ حزب اللّه، بقيادة السيد حسن نصر اللّه، لا يطلق وعوداً فارغة. كلّ خطاب يلقيه السيد نصر اللّه يتبعه خطوات عملية على الأرض، مما يعزز مصداقيته ويجعل من كلماته أفعالاً حقيقية. ومع تصاعد التوترات، يبقى السؤال الأهمّ: ما هي المفاجآت المقبلة التي يعد بها السيد نصر اللّه؟ وكيف ستؤثر على معادلات القوة في المنطقة؟

إسقاط هذه الطائرة يُعدّ إشارة واضحة إلى أنّ حزب اللّه مستعدّ لاستخدام كافة الوسائل المتاحة للدفاع عن سيادة لبنان، وأنه يمتلك القدرة على التأثير في مجريات الصراع مع العدو «الإسرائيلي». ومع استمرار التصعيد، قد نشهد المزيد من التطورات المثيرة في المستقبل القريب، مما يجعل الوضع في المنطقة أكثر تعقيداً وتوتراً.

التهدئة لم تنضج ظروفها بعد

ناصر قنديل

لسنا بحاجة للنظر من موقعنا المؤيد للمقاومة كي نرى أن الظروف لم تنضج بعد لتسوية تحقق التهدئة. فمن أي موقع ينظر المراقب يستطيع أن يرى أن المسافة القائمة بين المواقع المتقابلة لا يمكن ردمها من خلال التذاكي على طريقة الرئيس الأميركي جو بايدن. فالمقاومة التي تعرف حجم التضحيات التي قدّمها شعبها، وتعرف حجم قوة جناحها العسكري وقدرته على الصمود ومواصلة القتال، وتعرف ما يصيب الكيان وجيشه وبيئته الداخلية وعلاقاته وسمعته في الخارج، ليست على الإطلاق بوارد القبول باتفاق لا ينصّ صراحة وبوضوح لا لبس فيه على انه اتفاق لإنهاء الحرب وفك الحصار وتحقيق الانسحاب الشامل من قطاع غزة، وبدء إعادة الإعمار. ومعادلة المقاومة في تبادل الأسرى واضحة، لإنهاء ملف الأسرى مقابل إنهاء ملف الحرب، بالأهمية والوضوح ذاتهما في النص وبالتزامن في التنفيذ، وبالمقابل فإن قيادة الكيان وعلى رأسها بنيامين نتنياهو لم تنضج بعد لإعلان نهاية الحرب وهي تعلم أن هذا الإعلان هو إعلان فشل، حيث لم يتحقق شيء من الأهداف، وعودة الأسرى سوف تتمّ وفق صفقة تبادل كان يمكن لو جرت قبل ثمانية شهور بإعلان مشابه لوقف الحرب أن تضمن عودة الأسرى أحياء جميعاً، والإعلان الآن يعني الفشل في القضاء على حماس، التي سيكون أول مترتبات انهاء الحرب عودتها الى مكانتها في السلطة والميدان في قطاع غزة، حيث لا يقبل الشعب عنها بديلاً، كما تقول استطلاعات الرأي التي يعرف الجميع نتائجها، ويعلمون أنها أجريت على أيدي جهات ليست تابعة لحماس، ولا تروّج لحماس.

حاول الرئيس الأميركي ويحاول، أن يجنب كيان الاحتلال الحمل الثقيل للفشل

بإعلان نهاية الحرب، عبر تقديم بديل هو اعتبار كلامه عن أن الاتفاق ينهي الحرب كافياً، وتنظيم حملة ضغوط على حماس يريد عبرها دفع حماس للقبول، والحصيلة هي الفشل، وسوف يتكرّر الفشل، ولسان حال حماس، اذا كان كلامنا عن النظر بإيجابية لموقف الرئيس الأميركي يوصف بأنه كلام من هنا وهناك، يريدون بدلاً منه موافقة صريحة رسمية على صيغة اتفاق لا تحقق مطالب المقاومة وشعبها، فكيف يريدون منا أن نقبل كلاماً من هنا وهناك عن وقف الحرب ولو كان القائل رئيس أميركا، ويرفضون تضمينه بصورة رسمية في الاتفاق، ثم كلام المقاومة لا تغيّر فيه انتخابات بعد شهور كما هو حال الرئيس الأميركي الذي قد يفشل في الانتخابات ويخلفه رئيس يقول إن كلام سلفه ذهب معه كما سبق وفعل بما هو أهم، فانسحب من اتفاق رسمي مبرم ومصادق عليه من مجلس الأمن الدولي، وفي مجلس الأمن الدولي لم تنفع حملة العلاقات العامة التي أجراها الوفد الأميركي بالتلاعب بعقول روسيا والصين لقبول تمرير قرار يتحدث عن دعم اتفاق بين طرفين أحدهما هو بنيامين نتنياهو يصف ما قاله الرئيس الأميركي بغير الدقيق وينكر أنه كلامه، كما يقول الأميركيون. وبالتالي هو ليس طرفاً في ما يُسمّى بالاتفاق، ويطلب القرار الضغط على الطرف الثاني أي حماس لقبول اتفاق يفترض انها طرف فيه، والحصيلة أن الحملة الأميركية تبوء بالفشل، وتنجح بأحسن الأحوال بتحريك الجو التفاوضيّ.

بالمقابل تقول موازين القوى إنه لم يبق بيد كيان الاحتلال وجيشه أي هوامش يمكن القيام بها لتحسين الوضع الميدانيّ. فالفشل في معركة رفح هو الذي حرّك بايدن، بعد شهر على بدئها، وشهور على الترويج لها أنّها المعركة الفاصلة التي تغير وجه المعادلات. وعلى جبهة لبنان تقول واشنطن عبر وزارة الخارجية إن حرباً إسرائيلية على لبنان لاستعادة بعض ماء وجه معادلات الردع وصورة الجيش والحكومة أمام المستوطنين المهجرين، تشكل خطراً على مستقبل "إسرائيل" وأمنها. ويعلم الأميركي كما يعلم الاسرائيلي، أن الحديث عن الحرب شيء والذهاب إليها شيء آخر، وأن من يقدر على خوضها هو الذي لا تزال قوته الصافية خارج الميدان، وليس مَن استهلك كل احتياطاته السياسية والعسكرية والمعنوية والبشرية والتسليحية، وهذا هو الفارق بين المقاومة في لبنان وجيش الاحتلال، وبمن سيخوض الحرب الكيان، بالجيش المهزوم في غزة وكتائبة الممزقة، وألويته المتهالكة؟

انسداد طريق الحرب بالنسبة للكيان، يعني أن الخط البياني الذي يشق طريقه خلال ثمانية شهور بانتظام سوف يكمل مساره حتى نقطة اللاعودة. وهذا الخط البياني يقول بانحدار متواصل لمؤيدي الحرب في الرأي العام، من ٩٤٪ الى ٢٧٪، وتزايد الصدوع في المجتمع السياسيّ، وفقدان الجيش قوة الاندفاع بأكثر من ٥٠٪ على مستوى القدرات البشرية والروح القتالية والمعدات والعتاد والآليات والذخائر والأسلحة، وفقدان الاقتصاد للكثير من عناصر قدرة الصمود، مع زراعة وصناعة مصابتين في الصميم شمالاً وجنوباً واستثمارات تفقد ٧٠٪ من حجمها، وتجارة تتراجع بنسبة ٤٢٪ واستهلاك يتراجع بنسبة ٢٧٪، والمسار الطبيعي لفعل هذه العناصر هو إنضاج الكيان لقبول إعلان نهاية الحرب، مع نتنياهو أو بدون نتنياهو، بعد أسبوع أو بعد شهر أو أكثر.